السفير العربي
جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

1

2
أصحاب معاشات التقاعد في مصر: زيادة 10 في المئة هي الثمرة الوحيدة المتحققة. والانثروبولوجيا تقاوم إسرائيل: معركة دارت في الجامعات الأميركية. وفي «فكرة»، فرقة دواوين الغزّية تغني على حاجز اريتز.

3
المزارات والأضرحة والأولياء جنود مخفيّون في الحرب السورية: مثال الساحل. وتعريفاً بـ«المدارس العتيقة» في المغرب، وبتوظيفها السياسي من قبل السلطة. وفي «بيتونة»: الرسّامة وبيان القْلَق.

4
الصراصير، رُهاب المعتقلين في مصر: تجربة الشاعر. و«بألف كلمة»: الشارع للفن و..للنساء. ومزيد على الموقع: الموسيقى البديلة بتونس، والسياحة بالجزائر معطلة، وصراع الأزهر والأوقاف على خطبة الجمعة.

الخميس 18 آب 2016 – الموافق 15 ذي القعدة 1437 هـ ـ العدد 13443
AS-SAFIR Arabic political daily - Thursday August 18, 2016 N° 13443

اليمن: ما الموقف؟

ليست الحروب جديدة في اليمن، ولا العنف كذلك، ولا حتى محاولة السيطرة على البلد من خارج إطار السلطة. لكن المختلف هذه المرة أن المعركة هي بين طرفين (أو أكثر) يمتلكون جميعهم دوافع غير وطنية. فعلى الرغم من أن أحدهما شرعي والآخر غير شرعي، وفقاً للمعطيات الدستورية وكل الأسس والمرجعيات الرسمية، إلا أن كليهما غير وطني.

ولعل الأهم من ذلك أن ما يجمع هذه الأطراف، من عبد الملك الحوثي إلى عبد ربه منصور هادي إلى علي عبد الله صالح، هو في الواقع أكثر مما يفرّقهم. وينطبق ذلك بدرجات مختلفة على أنصارهم وبعض حلفائهم.

لقد أسهم كل طرف، وإن بأقدار متفاوتة، بسلوكيات تمزق اليمن، كلٌّ بطريقته، ولأهدافه ومصالحه الخاصة. وخلال السنوات الماضية عقدت صفقات عدة بينهم، أدّى جلّها إلى التناوب على تدمير اليمن.

تنطبق المعادلة نفسها على الفاعلين الإقليميين والدوليين. فمشكلة البلاد ليست مع أبنائها فحسب، ولكن أيضاً مع «أصدقائها». فالمملكة العربية السعودية لا تحارب في اليمن من أجل اليمن، كما تحاول إيران، كخصم إقليمي للسعودية، استغلال اليمن واستخدامه لتوظيفه في صراعاتها في المنطقة، وهي تراه بيئة منخفضة الثمن لاستدراج دول الخليج كافة إلى حلبة صراع استنزافي بلا حكَم.

وبالنسبة للدول الغربية، فهي فرصة تاريخية لتجريب أحدث الأسلحة الذكية وعقد صفقات أسلحة بأرقام فلكية، وفرصة هائلة للشركات الأمنية الخاصة. المهمّ إدراكه هنا هو أن الغرب والإقليم غير مستعدّين لخوض هذه الحرب إلى النهاية، أو حتى إلى أن يتحقق انتصار لأي من الطرفين، وهو أمر يزيد (حتى من وجهة نظر برغماتية وليس فقط أخلاقية ووطنية) من أهمية رفض هذه الحرب والعمل على التعجيل بإنهائها.

حكيم العاقل ـ اليمن

الخارج يُشعل الحرب؟

يمكن أن يُقال الكثير عن دور الخارج في إشعال اليمن، ودوره حالياً في إشعال هذه الحرب وتجاهلها في آن، إلا أنها في نهاية المطاف حرب كانت مسبّباتها يمنية، وكذلك هي أطرافها التي سمحت للخارج بلعب هذا الدور، لغياب الحس والأجندة الوطنيين لديها.

التمحيص في المتغيّرات منذ 2011 يشكل منطلقاً مهماً لبلورة الموقف، وقبل ذلك، لفهم ما حدث لليمن السعيد الذي عاش أهم ثورة سلميّة في العالم العربي، ثورة سلمية بامتياز بالنظر إلى كمية الأسلحة التي تفوق 68 مليون قطعة سلاح في حوزة الأشخاص وحدهم. لكن العالم والإقليم، وبتواطؤ من الأطراف المحلية، صدّوا التغيير السلمي، ومنحوا علي عبد الله صالح ونظامه حصانة غير مشروطة، آخذين اليمن إلى مسار قسري تتداوله الميليشيات.

كانت «المبادرة الخليجية»، مع تلك الحصانة غير المشروطة التي تضمّنتها، ومع احتيالها على عملية التغيير في اليمن، هي أول انقلاب علني على أحلام اليمنيين وعلى فكرة السلام. ومع أنّه كان بإمكان المبادرة بكل شوائبها أن تؤسّس الأرضية لعملية تغيير آمنة وطويلة المدى، إلا أن درجة التزام رعاتها وأطرافها، وجديتهم، كانت منخفضة ولم تنعكس عبر سياسات تحمي البلاد من التفكّك وتحقق الحد الأدنى مما يمكن تحقيقه. بل على العكس من ذلك، فهي أسّست، عبر خطوات عملية ممنهجة ومنظمة، إلى «ملشنة» (نسبة إلى ميليشيا) اليمن وإلى تشظّيه وتمزّقه. وفي هذا الفصل الأول للانقلاب، كانت جميع الأطراف التي تتقاتل الآن باليمنيين، متوائمة في عملية الفساد والإفساد. وبالتراضي بينها احتالت على الجنوب والشمال وكل القضايا.. وبقصد استقطابها، استمرّت دول الخليج في الدعم السياسي والمالي للأطراف المحلية، خارج إطار السلطة، بما يتنافى مع ما أعلنته المبادرة الخليجية كهدف. واختارت كل دولة الطرف الذي يتقارب مع أفكارها ومصالحها.

التداول السلمي للفساد

في شباط/ فبراير 2014، بدأت الحلقة الثانية من سلسلة «الانقلابات» في اليمن، إذ مدّد أعضاء «الحوار الوطني»، دون امتلاكهم لأي صفة دستورية، الفترة الرئاسية للرئيس هادي لعام آخر، بعد وعده لهم علناً وأمام الكاميرات بأنه سيعيّنهم في هيئات «مخرَجات الحوار الوطني» بمجرد إنهائهم مؤتمر الحوار الوطني والموافقة على مخرجاته والتمديد له لعام آخر، في واحدة من أوقح عمليات الرشوة العلنية في التاريخ. وفي عملية تصويت تهريجية بالوقوف، صرخ الحاضرون «فوّضناك»! وبالطبع رحّب المجتمع الدولي بهذا التهريج والتمديد للفشل والكارثة والغنائمية غير الدستورية.

لم تكن المشكلة تقتصر على التمديد للرئيس هادي، فذلك أمر يمكن الجدل حوله بل وحتى تفهّمه، خاصة أن الفترة الانتقالية الزمنية كانت بالفعل غير كافية لتحقيق كل ما وعدتْ به. إلا أن التمديد ذاك لم يرتبط بأي جدول أعمال أو أجندة وطنية أو خارطة طريق، باستثناء التغانم المشترك للمناصب بين الأطراف القديمة والجديدة، والتداول السلمي للفساد الذي تمّ بين هادي وعلي عبد الله صالح وأحزاب «اللقاء المشترك» بقيادة «التجمع اليمني للإصلاح» وما تبقى من «الحزب الاشتراكي اليمني»: صفقة التمديد لمجرّد التمديد وليس لإنجاز مستحقات لم تُنجز.

وكانت السفسطة الدولية شريكاً فعالاً في استمرار هذا «اللامشروع» الذي مهّد لنشوء وسطوة الميليشيات، ولصراع إقليمي (بدأ سعودي ـ إيراني وتطوّر حتى وصل إلى داخل البيت الخليجي نفسه). وأصدر مجلس الأمن الدولي بياناً قال فيه إن «المبادرة الخليجية» في اليمن مرتبطة بالتنفيذ وليس بأي جدول زمني. وهكذا بدأ فتح الوقت بدلاً من الضائع، ليصبح كل الوقت في اليمن ضائعاً ومُهْدراً وقاتلاً.

انقلاب على لقمة العيش

في تموز/ يوليو من العام نفسه، جرى انقلاب من نوع آخر: هذه المرّة ليس على أحلام اليمنيين وآمالهم بالتغيير، بل على لقمة عيشهم، بالإمعان بإفقارهم وإذلالهم وتجويعهم لصالح نخبة محدودة. أصبح ما يقارب من 12 مليون يمني (ما يقارب نصف اليمنيين!) بحاجة إلى مساعدات إنسانية عاجلة. ومع ذلك، أصدر الرئيس هادي حينها قراراً برفع الدعم عن المشتقات النفطية بناء على توصية من صندوق النقد والبنك الدوليين، سوّغها وتبنّاها مسؤولون اقتصاديون نيوليبراليون، من تيار الغنائمية الاقتصادية المتصاعدة في اليمن.

لم تكن شناعة ذلك القرار مرتبطة فحسب بالأوضاع المعيشية الصعبة لأغلب اليمنيين، بل بكونها قرارات ليست ناتجة عن أية دراسة أو حاجة مالية حقيقية للرئيس وحكومته. كانت المساعدات الأجنبية (التي رُفع الدعم عن المشتقات من أجل الحصول عليها) في العام 2012 تصل إلى 6 في المئة من إجمالي الناتج القومي للبلد. وفي العام 2013 قال تقرير للمعهد الملكي للشؤون الدولية (شاتام هاوس) إن عشر عائلات في اليمن تسيطر على أكثر من 80 في المئة من الواردات والتصنيع والتجهيزات والخدمات المصرفية والاتصالات ونقل البضائع (من الإبرة إلى الدبابة)، في تلخيص مرعب لتكدس الثروة عند قلة. وفي كانون الأول/ ديسمبر 2014، نقلت مجلة «فورين بوليسي» أن الرئيس اليمني هادي قد حصل على ما يقرب من 4 مليارات دولار من السعودية منذ العام 2012، كمساعدات نفطية وللضمان الاجتماعي للفئات الأفقر، إضافة إلى مئات الملايين من الدولارات من قطر لدعم «لجنة الأراضي والمبعَدين» في جنوب البلاد، مضيفة أن جميع هذه الأموال ذهبت في «ثقب أسود»، باستيلاء أقارب الرئيس هادي عليها. وتشير مذكرة للسفير السعودي في صنعاء إلى أن الشحنات النفطية التي قدّمتها السعودية في العام نفسه لم ترد أثمانها إلى خزينة الدولة اليمنية.

كان ذلك القرار برفع الدعم عن المشتقات النفطية (الذي يصرّ رئيس الوزراء حينها، محمد سالم باسندوة، بأنه اتُخذ من الرئيس هادي دون أي تشاور معه) بمثابة القشة التي قصمت ظهر اليمني العادي، إذ ارتفع ثمن البنزين ما يقارب الضعف، فاشتعلت الأسعار وأشعلها الحوثيون بدورهم.

اندلعت مظاهرات في عموم البلاد رفضاً لهذا القرار غير المدروس وغير المرتبط بإصلاحات باستثناء تخمة التوافق السياسي بين جميع الأطراف مقابل اللامبالاة بما يحصل لـ26 مليون يمني. امتطى الحوثيون ببنادقهم كل هذه المظالم، لاعبين على الفراغ: التناغم المطلق لشلة الفساد بمقابل خلوّ الساحة من أي مشروع سياسي يعبّر عن الناس. انطلقوا من الدفاع عن حقوق العامة ومصالحهم، في وقت تحوّلت فيه كل القوى الأخرى إلى «سلطة»، ولم يقف في مربع المعارضة سواهم.

.. إلى الانقلاب الأكبر

أغلب ما جرى من سياقات سياسية منذ توقيع المبادرة الخليجية كان مختلاً واحتيالياً و فاشلاً، وله انعكاسات ارتدادية، في أكثر التفسيرات حسنَ نية. إلا أنها كانت في نهاية المطاف سياقات سياسية، أي أن السياسة كانت لا تزال حينها صاحبة القول الفصْل، حتى في أمور العنف بين اليمنيين. وبالرغم من كل شيء، كان تراكم الدولة والوحدة والجمهورية، وأخيراً الثورة كحلم مشترك في 2011، هي الجدران التي يتكئ عليها عموم اليمنيين بشكل عام.

لكن ما حدث في 21 أيلول / سبتمبر 2014، كان لا يشبه أي شيء آخر، إذ طَرحت سيطرة الحوثيين المسلحة والفجة على صنعاء، أسئلة جوهرية تتعلّق بما بقي ممكناً ومشتركاً بين اليمنيين، من الجمهورية إلى الثورة. لقد عطلت تلك السيطرة السياق السياسي المختل لصالح السلاح. لكن ذلك لم يكن كل شيء. الأكثر صعقاً كان تحالفهم مع علي عبد الله صالح، وقبل استكمال تفاصيل التحالف في كانون الثاني / يناير 2015، للسيطرة الكاملة على السلطة والتمدد جنوباً بقوة السلاح إلى باقي محافظات الجمهورية، في تحالف براغماتي تجاوز كل خطوط المعقول ولغّم اليمن من أقصاه إلى أقصاه، وظل يعلن عن نفسه بأشكال مختلفة، حتى تمخّض في شكله الأخير، مطلع الشهر الحالي، عن تشكيل «المجلس السياسي الأعلى» بين الطرفين.

تحالف الحوثيين مع صالح يشكّل واحدة من أكبر التحولات في المشهد اليمني. فقد كان الحوثيون شركاء أساسيين في الثورة ضد نظامه في 2011. وهم ذوو مظلومية عادلة خلفتها ستة حروب شرسة تحت قيادة صالح ضد صعْدة التي تحوّلت من مدينة السلام إلى مدينة المقابر.. فهي الأكثر عدداً من أي شيء آخر بما في ذلك المدارس والحدائق والمشافي. ومع ذلك، استيقظ اليمنيون في ذلك اليوم، من صعدة إلى عدن، فإذا بأهمّ شريك ورفيق لهم في انتفاضة 2011 قد تحالف مع أهم عدوّ لهم.. في خيانة حتى لشهداء الحوثيين أنفسهم في الحروب الستّة الظالمة ضدّ صعدة. ولّد الأمر شعوراً بالطعن المضاعف لدى عموم اليمنيين، خاصة إذا ما استُحضر الموت الذي صدّرته القوات المشتركة للرجلين (الحوثي/ صالح) لعموم اليمن لاحقاً وحتى يومنا هذا.

هادي والخارج

في الواقع، ومهما كانت المفاجأة التي أحدثها ذلك التحالف بين أعداء الأمس، فذلك لا يعني بأي شكل تبرئة المجتمعين الإقليمي والدولي، وقبلَهما الرئيس هادي، مما جرى وهو المتورط مباشرة في إسقاط عمران وصنعاء. كما هو انخراط دول إقليمية وغربية في الحرب العبثية الدائرة الآن، وهي واحدة من أكبر الأزمات الإنسانية في العالم. بل تمّت بشكل أو بآخر المباركة بالقرارات الدولية لكل هذا السقوط نحو الفوضى.

والجزء المهم والفاصل في هذه المعادلة يكمن أيضاً في إدراك الدور المستمرّ الذي يلعبه الرئيس هادي وحكومته (من المنفى حالياً) في خدمة معادلة الحوثي / صالح. فلقد تسبّب الأداء الحكومي الكارثي والضربات المتوالية ضد الشرعية من الرئيس هادي نفسه، إلى فقدان ثقة العالم والمجتمع الدولي بالشرعية وبأي انتصار ضد صالح والحوثي، بل وحتى بقدرته على تحمّل أدنى درجات المسؤولية تجاه المحافظات الخاضعة لسيطرته. فبعد عام من تحرير عدن، لا يزال الرئيس اليمني قابعاً في الرياض، ويتوزّع أعضاء وزارته على الصفحات الإلكترونية والقنوات الفضائية، بينما يدفعون بعموم اليمنيين إلى القتال، منطلقين بهم إلى وجهة غير واضحة المعالم. وفي بداية العام الجاري، قال المبعوث البريطاني ـ حينها ـ إلى اليمن، وهو أهم مسؤول غربي في الملفّ اليمني، إن حكومة هادي لم تعُد تمثل عموم اليمنيين!

هذا المؤشر خطير جداً، لأنه يؤسس لتنازع السياسة الشرعية، وتنازع الميليشيات للميدان. هذه الأفعال في كلّيتها ونتائجها هي مؤشرٌ آخر على أن الحرب ليست بين هادي وصالح، وأنهما يخدمان بعضهما البعض. فلو كان الرئيس هادي وحكومته يحاولان عمل أي شيء باتجاه الحسم أو السلام، لكان الوضع العام أفضل بكثير ولعظمت فرص اليمن في إنهاء انقلاب الحوثي/ صالح. هادي هو أهم عجلة تدور عليها دبابات صالح والحوثي في الداخل والخارج.

ما الموقف إذاً؟

إن هذا التداخل الكبير في الأدوار والغايات يزيد من تشوّش الصورة عن اليمن ويصيب الطرق إلى السلام بالضبابية المفرطة. وهو يعقد خيارات الفعل السياسي ومما يمكن عمله. لكن في نهاية المطاف – وأخذاً بعين الاعتبار هذه التراكمات والخلفيات والأبعاد للحرب (والحروب) في اليمن – فإنّ هناك مجموعة من المحدِّدات والخطوط العامة التي يمكن أن ينطلق منها أي موقف وطني أو أخلاقي، وأهم من ذلك أي فعل سياسي في اليمن وبخصوصه. كاتجاه عام، يجب رفض انقلاب الحوثيين وصالح رفضاً قطعياً بصفته انقلاباً وردة سياسية وأخلاقية على جميع ما هو مشترك ومتراكم بين اليمنيين منذ عقود، والعمل بكل الوسائل السلمية والوطنية لتقويضه ورفض نتائجه العسكرية والسياسية الداخلية والخارجية بما في ذلك الحرب السعودية في اليمن. وفي الوقت نفسه، يجب العمل على إنهاء هذه الحروب بكل الوسائل المكنة وبأسرع وقت بصفتها خطراً عظيماً على اليمن وعلى الخليج نفسه. وأهمّ من ذلك، لأنها حرب تستخدم فيها اليمن واليمنيين، وليست من أجلهم ولا يمكن أن تكون.

استخدمت السعودية القوة الفتاكة في اليمن وقصفت المستشفيات والمدارس والمنازل.. وحتى حلفائها في أكثر من مرة، وفرضت حصارا خانقاً و إذلالاً مدمرًاً بحق اليمنيين (في عملية مشابهة لحصار إسرائيل لغزة) وهو أمرٌ يكشف بأن هذه الحرب لا تجري دفاعا عن اليمن أو اليمنيين. ما يستدعي مجددا رفض هذه القوة الفتاكة ورفض إذلال وتدمير أفقر بلد عربي من قبل أغنى بلد عربي.

وفي موازاة ذلك، يجب العمل من أجل رفض هذه الانقلابات بكل أشكالها، سواء تلك التي يقوم بها الحوثيّون أو تلك التي يرتكبها الرئيس هادي وجماعته. تحرير اليمن من انقلاب الحوثي/ صالح لا يمكن أن يتم إلاّ بعد (أو بالتوازي مع) تحريرها من هادي وطاقمه في المنفى، بصفتهم منتحلين أكثر من كونهم ممثلين لليمنيين، وبصفتهم خطراً على الجمهوَرية اليمنية يوازي خطر الحوثي / صالح. ذلك أن وجودهم كفراغٍ في رأس السلطة والسياسة والدولة يخلق فرص الحوثي / صالح: هُم جميعاً أدوات في هذا الخراب وليسوا طرفاً في الخلاص منه. ويمكن الدعوة إلى، والعمل نحو، توافق وطني جديد يُنهي الحرب ويؤسس لمرحلة خالية من أوهام الحوثي / صالح ومن أساطير هادي نفسه.

وفي الأخير، يجب إدراك العمل الهادف لمحو الذاكرة اليمنية (داخلياً وإقليمياً ودولياً)، ومواجهة التزوير المنهج الذي يَدّعي بأن اليمن كان يمر بعملية انتقالية ناجحة. كما أن «العودة إلى ما قبل الحرب الأخيرة» (كما يدعو الخليج وهادي بل وحتى صالح والحوثيين)، هي باختصار عودة لأسس الحرب والخراب في اليمن وليس إلى أي استقرار.

فارع المسلمي

باحث من اليمن

تنظيم الحرب لجعلها أكثر إنسانية؟

من جديد، قُصف مستشفى في اليمن، ومن جديد قُصفت مدرسة في اليمن. قُتل في القصف الأول مرضى وأفراد من الطاقم الطبي، وقتل أطفال أعمارهم بين السادسة والرابعة عشرة في الثاني. المشفى بإشراف منظمة «أطباء بلا حدود» التي سبق أن تعرضت مشافيها لقصف خلال العام الحالي: أربع مرات. والمدرسة في ناحية صعدة، أقصى الشمال اليمني، وهي منطقة نفوذ للحوثيين..

تثور عادة ثائرة من يُتَّهم (كائناً من كان)، فيجيب أن الطرف الآخر أيضاً يقصف مواقع مدنية.. أو يقول (وهو أبشع)، أن هناك قصفاً لأهداف مشابهة في سوريا (مثلًا) من قبل جهة «مغايرة» (لأصحاب القصف الأول!) فلماذا لا نتكلم عنها الآن وهنا.. أو (وهو أفدح)، أنها في الحقيقة ليست مدرسة بل مركز لتدريب الأطفال على القتال، وليست مستشفى بل مستودع للذخيرة أو مكان لتوفير العلاج لمقاتلين من «الأعداء».. ولو قالت هيئة أو جمعية أجنبية غير ذلك لاتُّهِمت بالانحياز والتدليس. والمحاجات تلك ترتكبها على حد سواء بيانات رسمية من أصحاب الشأن، ومقالات صحافية تدين كذب هذا الرأي أو ذاك (حسب هوى الجريدة)، وأفراد متحمّسون على مواقع التواصل الاجتماعي يهاترون بأنه يُذكَر هذا ولا يُذكَر ذاك.. ما يشكّل في نهاية المطاف دائرة مفرغة لا متناهية من الاستخفاف بالقتل ومن تبريره طالما هو لا يخصّ جماعة صاحب القول.. الذي يستفظع الحدث ما أنْ يطالها.

يقول المتحذلقون إن مردّ هذه الحال هو طغيان «العقلية القبلية»، ولكن لا يبدو أن هناك مَن هو منفكٌّ عنها! ومن يتخذ موقفاً مختلفاً يُنعت في أحسن الأحوال بالسذاجة، أو يحاسَب «على القطعة»، فينتهي مغضِباً الجميع. ويقول متحذلقون من نوع آخر إن احترام القوانين الدولية في الحروب أمر ضروري، وهي تحرِّم استهداف المدنيين وتحصر عمليات الحرب بالمقاتلين. ولكنها قوانين لم يطبّقها أحد، بدءاً من هيروشيما وناغازاكي التي مرت ذكراهما منذ أيام، وانتهاء بما تشاءون. وعلى ذلك، فهم يطالبون بتحقيق مستقلّ في «الهفوات» (على اعتبار أنها أخطاء ليس إلا)، بينما بقيت حروب كبرى ـ ليست أهلية ولا قبَلية ـ بلا تحقيقات ولا اعتذار، من فيتنام إلى العراق إلى سواهما، (ولقطع الطريق على الشبهة، فليس الروس أحسن من الأميركان!). هؤلاء المتحذلقون «يتكاذبون» بما لا يختلف عن الرسميين والصحف والعامة.

الحل؟ إدانة الحرب.. الحروب كلها!

نهلة الشهال

العربي السفير

متابعات

308 مواطنين فلسطينيين منعتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال شهر تموز/يوليو الفائت من السفر خارج الأراضي المحتلة عن طريق معبر «الكرامة»، المنفذ الوحيد الذي يصل الضفة الغربية بالعالم الخارجي عبر الأردن: والدواعي «أمنية»، من دون إيضاح ماهيّتها.

المعاشات.. أوجاع المسروقين والمحرومين في مصر

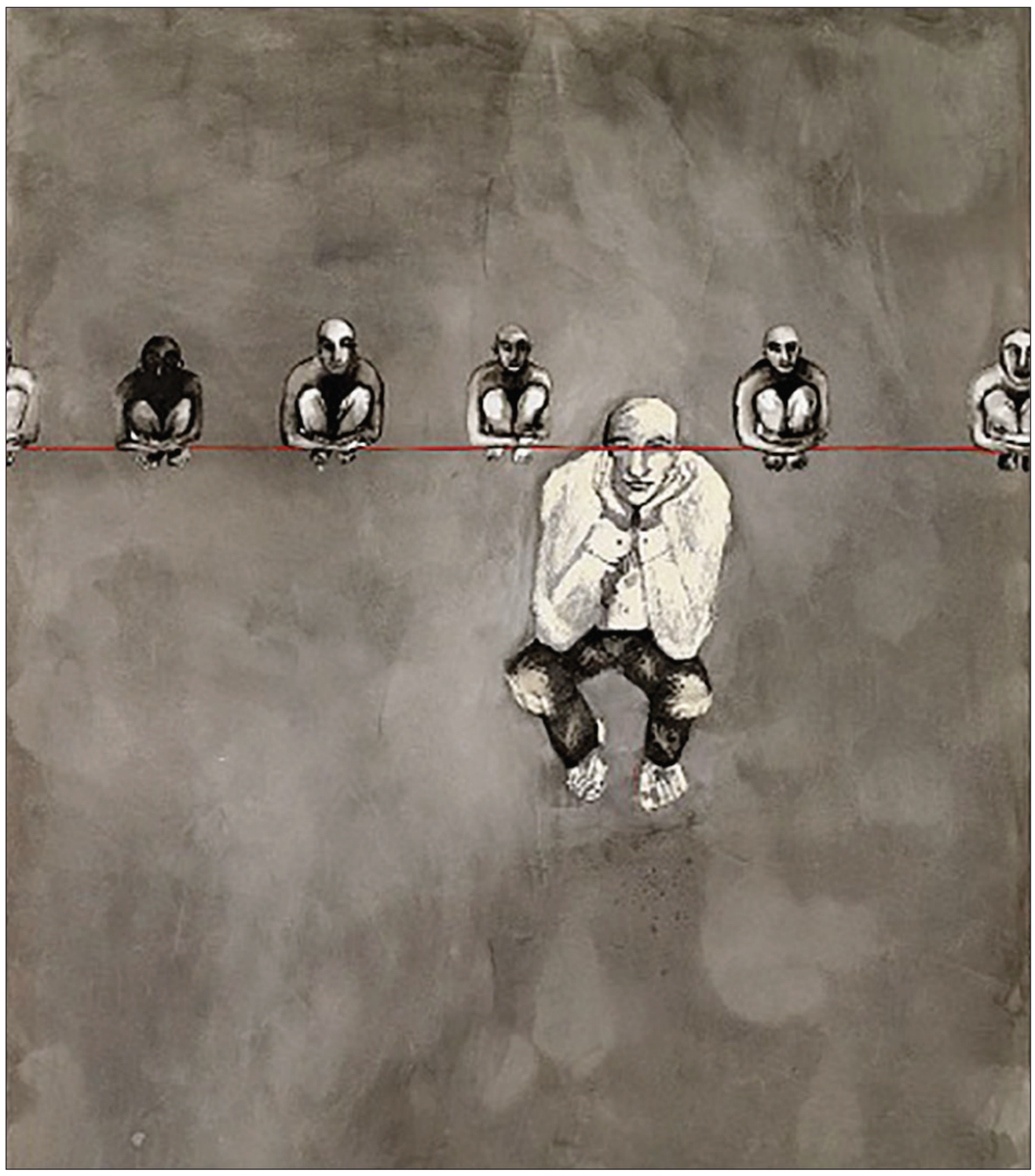

خالد تكريتي - سوريا

تسعة ملايين مواطن فوق الستين يناضلون، ثلاثة ملايين آخرين يشكرون ويتمنون أن تمنّ عليهم السماء - عبر قرارت الحكومة - بالمزيد. إنهم أصحاب المعاشات (أو التقاعد) التأمينية ومستحقّو معاشات الضمان الاجتماعي للأسر الأكثر احتياجاً في مصر.

تتواجه هذه الأعداد الكبرى للمواطنين بأرقام زهيدة هي المبالغ التي يتحصّلون عليها شهرياً في ظلّ تزايد مسعور للأسعار في مصر وارتفاع بمستويات التضخم وتراجع الناتج الاقتصادي. وهو ما أدى على مدار ما يقارب العشرة أعوام الأخيرة إلى حالة شدّ وجذب وتدافعات بين الجانبين - أصحاب المعاشات والحكومات - إلى أن تمّ قبل أيام وعبر البرلمان إقرار قانون «زيادة المعاشات». فهل هي نتيجة مُرْضية لجميع الأطراف؟ هل هي كافية لأن تقول أن كبار السن في مصر والأرامل والمعيلات وذوي الاحتياجات الخاصة يعيشون حياة كريمة؟

أسر وأموال في الميزان

أرسل مجلس النواب مشروع قانون زيادة المعاشات بنسبة 10 في المئة إلى رئيس الجمهورية للتصديق عليه وإصداره ونشره في الجريدة الرسمية تمهيداً لصرف المعاشات بالزيادة الجديدة.

عقب انتخاب الفريق عبد الفتاح السيسي، تم اتّخاذ قرارات عدة تتعلق بأصحاب المعاشات، منها بالطبع ما أصدره الرئيس مباشرة وفاجأ به الجميع، من أربع زيادات متوالية في معاش العسكريين. أما من هم خارج «البدلة الميري»، فتكفّلت بهم وزارة التضامن الاجتماعي، فتمّ رفع عدد المستفيدين من المعاشات غير الممولة (معاشات الضمان الاجتماعي) من 1.5 مليون إلى 3 مليون مستفيد، وهي معاشات «ناصر» و«السادات» وتذهب أغلبها للأسر التي يقوم على شؤونها أرامل ومطلّقات أو التي دون عائل ولذوي الإصابات أو الإعاقة.

وقد كان كثير من هذه الأسر لا يزيد حجم ما يصرف لهم شهرياً عن 74 جنيهاً، رفعت تدريجياً بحيث أصبحت جميعها في حدود الـ400 - 500 جنيه، أي بزيادة تصل إلى 500 في المئة، كلفت ميزانية الدولة - حسب التصريحات الرسمية - 7 مليارات جنيه. لكن هل كان ذلك لإسناد أسر لا يقل عددها في أغلب الأحوال عن خمسة أشخاص؟

من لا يملك سرق من يستحقّ

الدعم المباشر من خزانة الدولة لمن لهم حقوق أصيلة التزام يتوجب على أية سلطة قائمة تلبيته، ولكن ماذا عمن استغلت الدولة دون حق مدخراتهم وسدّت بها ديوناً داخلية؟

هم جيش الموظفين بالقطاع العام والخاص عبر السنوات، وتُقدر أعدادهم بـ9 ملايين مواطن. هؤلاء سطع اسمهم على الشاشات مع غزو الشعر الأبيض لرؤوسهم وغزو النظام لجيوبهم، عقب استيلاء وزير مالية مبارك الأخير يوسف بطرس غالي على أموال هيئة التأمينات والمعاشات لسد عجز الموازنة العامة، بما قدر بـ 435 مليار جنيه. كما ذهبت 200 مليون جنيه أخرى إلى بنك الاستثمار القومي، وأيضاً 300 مليون جنيه من صناديق تأمينات القطاع الخاص للمضاربة بها في البورصة، ما أسفر عن خسائر فادحة لحقت بتلك الأموال وبلغت 60 في المئة من أصولها.

ولم تجد الحكومة أمامها مخرجاً غير التحايل على هذا العجز باقتراح رفع سن التقاعد (المعاش) إلى 65 بدلاً من 60 عاماً.

نضال «فوق الستين»

جاءت ثورة لم تكتمل، وتوالت حكومات لم تقدم أي منها حلولا كاملة لاستعادة تلك الأموال، ومن فعل بقيت أوراقه حبيسة الأدراج.

لم يعد مليم واحد، وظلت المعاشات محصورة ما بين 400 - 1100 جنيه لا أكثر، وبدأ نضال «فوق الستين» عبر عشرات الوقفات والاعتصامات، تزايدت خلال العامين الماضيين إلى أن صدر القانون الأخير الذي يقر بتلك الزيادة، بحد أدنى 125 جنيهاً وبحد أقصى 323 جنيهاً، ورفع الحد الأدنى لإجمالي المعاش إلى 500 جنيه. كما نص على زيادة الحد الأدنى لأجر الاشتراك التأميني إلى 400 جنيه. وحسب إحصاءات حكومية، يستفيد من الحد لأدنى لزيادة المعاشات 2 مليون و624 ألف مواطن، وتتحمل الخزانة العامة للدولة تكلفة هذه الزيادة التي تبلغ حوالي 15 مليار جنيه.

يقول نائب برلماني ومؤسس حملة «أصحاب المعاشات عايزين حقهم»: نحن نواجَه دوماً بأنه تمّ تمويل الزيادات عبر خزانة الدولة مباشرة، وأن هذا يُثقل ميزان العجز، وكأنها دعوة مباشرة للتنازل عما لا تقدر على التنازل عنه.

أكمل خلال كلمته أمام البرلمان قبيل إقرار القانون: الزيادة 10 في المئة هي خطوة إيجابية من رئيس الجمهورية، لكنها غير كافية. فلدينا حكم قضائي من المحكمة الدستورية العليا بأحقية الصرف بأثر رجعي للفوائد المتراكمة على المبلغ الذي استولت عليه الحكومة عبر 10 سنوات، إضافة إلى ما أقرّته من حقنا الدستوري في المساواة بالحد الأدنى للأجور في مصر وهو 1200 جنيه. وأشار إلى أن حساب حجم الفوائد يجعل أجمالي الرقم ينخفض إلى تريليون جنيه، فكيف يستجدي «أصحاب التريليونات» حقّهم؟

أسر كادحة وميزانية مثقلة

قبل ثلاثة أعوام من إقرار القانون، وتحديداً في تموز/ يوليو 2013، قدّم عدد من الاقتصاديين المصريين عبر لجنة برئاسة الخبير الاقتصادي أحمد سيد النجار، ومن خلال التعاون مع وزارة التضامن الاجتماعي، رؤية اقتصادية تحاول رأب الصدع بين وجعين، الأول هو أحقية هؤلاء المواطنين بتلك الأموال وحاجة أسرهم لها من أجل الحياة الكريمة، والوجع الثاني الذي لا يقل امتداداً وعمقاً هو العجز الدائم بالموازنة مع تراجع ملحوظ بحجم الاستثمار الأجنبي.

تبنت الرؤية أفكارا عدة، منها فرض الحد الأقصى للأجور وإخضاع الصناديق الخاصة التابعة لمؤسسات أمنية وسيادية وغيرها إلى المراجعة المالية، من أجل تمويل هيئة تحمل اسم «استرداد أموال المعاشات والتأمينات» عبر هذه المصادر، ووفق خطة زمنية طويلة الأمد. وكذلك قيام هذه الهيئة - التي لم ترَ النور - بإدارة هذه الأموال عبر مشروعات صغيرة ربحية يملك أصحاب المعاشات أسهمها بشكل مباشر.

لم تتحقق تلك الحلول لأسباب عديدة، بينما بقيت الأزمة على حالها.

زيادة الـ 10 في المئة هي الثمرة التي وقعت الآن في جعبة أصحاب المعاشات، وحد أدنى للأسر الأكثر احتياجا؛ تطور غير كافٍ بعد انتظار طويل ووعود مرجأة التنفيذ.

منى سليم

صحافية من مصر

فكـــرة

فرقة «دواوين» الغزّية

غناء على الحاجز

أن تكون من غزّة يعني أن تكون محاصَراً، يحاصرك العدو وتحاصرك حدود دولة عربية شقيقة ويحاصرك البحر - وهو ألطف على أي حال - وتحاصرك ظروف معيشية خانقة هي نتيجة كل تلك الحصارات... أن تكون من غزة يعني أن تكون معزولاً بالضرورة عن كلّ ما ليس فيها، وحتى لو قارب عدد سكان القطاع المليونين، فإن العزلة تبقى ملازِمة، يعرفها الكهول ويعرفها أكثر شباب القطاع التواقين إلى المساحة والأفق.

غزّة في حالة بحث دائم عن رئة إذاً، عن هواء نظيف، عن فرصة ما للتواصُل مع «الخارج»... عندما عزم شبان وفتيات فرقة «دواوين» الموسيقية الغزّية على المشاركة في مهرجان فلسطين الدولي 2016 بحفلة في غزّة وأخرى في القدس، كانوا يؤدون دورهم في البحث الدائم عن المتنفّس، ويسعون ليكونوا جزءا من رئة غزّة داخلها وخارجها. عَزفوا وغنّوا للناس في غزّة، وعند محاولتهم الوصول إلى القدس حيث حفلهم الثاني ضمن فعاليات المهرجان، مُنعوا من الدخول، في 6 آب/ أغسطس 2016، ولم يصلوا إلى مسرح الحكواتي حيث كان مقرراً أن يُعقد الحفل. وكانت إسرائيل منذ أسبوعين فقط قد منعت عضوين من فرقة «اسكندريلا» المصرية كذلك من الدخول لإحياء حفلين في رام الله وجنين.

أعضاء «دواوين»، الذين قدِموا مع رغبة كبيرة برؤية جمهور القدس والغناء لهم، لَم يشاؤوا العودة من حيث قدموا والرضوخ ببساطة لإرادة الاحتلال، فقرروا أن يقيموا حفلهم، وبتوقيت الحفل المقرر نفسه في القدس، لكن عند معبر «إيرتز»، حاجز بيت حانون، ليتسنّى للناس رؤيتهم، ولكن بالدرجة الأولى لتسجيل موقف تحدٍّ رافض للقمع الإسرائيلي الذي يمنعهم من حرية الانتقال والحركة والتواصل مع سائر المناطق الفلسطينية.. بلادهم!

على منصّة متواضعة جداً، فرد الشباب مساحة لآلاتهم الموسيقية ومعداتهم ومكبرات الصوت، وقفوا وعزفوا وغنوا الأناشيد الوطنية والتراثية الفلسطينية بأسلوبهم الخاص، وقد علّقوا خلفهم لوحاً جلدياً كبيراً كُتب عليه «مهرجان فلسطين الدولي 2016»، يتوسّطه ختم «مُنع من الدخول بقرار من الاحتلال». على الكراسي الموضوعة أمام المنصّة كتبوا «جمهور القدس»، وبمن استطاع الحضور، بدأوا حفلهم، على مرأى من الجنود الإسرائيليين. تحلّقت حولهم مجموعة من الأطفال تفاعلوا بفرح واهتمام مع الموسيقى.

الفرقة التي تتألف من نحو 50 شخصاً (مدرّبو صوت ومدربون نفسيون وموسيقيون) منهم 13 هم المجموعة الغنائية، تابعة للمركز الثقافي الخاص بالجالية المصرية في قطاع غزة، وهي مُشَكَّلة من فلسطينيين وفلسطينيين من حاملي الجنسية المصرية. أصغر أعضائها الطفل محمود كحيل (15 عاماً) ومنهم فتيات مغنيات كذلك. كل ذلك في غزّة، المحاصرة والمعزولة والتي تسودها صبغة دينية تجعل العمل في الموسيقى أمراً غير مشجَّع عليه ولا يتوفر له الدعم الكافي.

... لكنّها غزّة، وهي تملك ما يجعلها غير قابلة للموت اختناقاً، رغم القهر الكبير.. أمام منطق الحيطان الإسمنتية والأسلاك الشائكة والمعابر ونقاط التفتيش، تَصنع موسيقى وتغنّي على المعابر.

صباح جلّول

الأنثروبولوجيا تقاوم إسرائيل

حسمت منذ أسابيع قليلة نتائج معركة مع اسرائيل لم تكن ساحتها الأراضي الفلسطينية المحتلة بل الجامعات الأميركية، وكان طرفاها اللوبي الإسرائيلي من جهة وعلماء الأنثروبولوجيا الأميركيين الملتزمين بالدفاع عن حقوق الإنسان من جهة ثانية، في حين لم يكن للعرب أي وجود في خضمها فضلا عن التأثير فيها، بل أغلبهم لم يسمع عنها مع أنها استغرقت أعواماً. فبعد ثلاث سنوات من المناقشات وستة أسابيع من الانتخابات عبر البريد الالكتروني، فشلت جمعية الأنثروبولوجيين الأميركيين بفارق ضئيل جدّاً، لا يتعدى 39 صوتاً، في تبني قرار المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل، علماً أنّ هذه الجمعية تمثل ثقلا أكاديميا كبيرا باعتبارها أكبر جمعية أكاديمية علمية في العالم، بتعداد منتسبيها الذي يتجاوز 12 ألف عضو.

وعلى الرغم من أنّ اللّوبي الصهيوني أجهض تبني قرار المقاطعة الأكاديمية، إلا أن الاستفتاء نفسه يعتبر خطوة كبيرة في مسار الأنثروبولوجيا نفسها، لأنّه سلّط الضوء في الفضاء الأكاديمي على القضية الفلسطينية والانتهاكات الإسرائيلية. وكان من شأن القرار، لو تم تبنيه، أن يشمل عدم التعاون مع الجامعات الإسرائيلية والمراكز البحثية، وعدم زيارتها أو التدريس فيها، وعدم المشاركة في المشاريع العلمية التي تديرها، ومقاطعة الملتقيات والتظاهرات التي تنظمها، وعدم الكتابة في المجلات التي تصدرها... حتى تنهي تلك المؤسسات تواطؤها مع السلطات في انتهاك الحقوق الفلسطينية المنصوص عليها في القانون الدولي.

وقام أكثر من 1300 أنثروبولوجي أميركي من المناصرين للمقاطعة الأكاديمية بتوقيع بيان باسم الجمعية جاء فيه: «نحن علماء الأنثروبولوجيا الموقعين أدناه نعبر عن معارضتنا للانتهاكات الإسرائيلية المستمرة لحقوق الفلسطينيين، بما في ذلك الاحتلال العسكري لقطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية، وندعو لمقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية»، كما وجهوا أصابع الاتهام لإسرائيل لسجلها المخزي في انتهاك الحريات الأكاديمية والممارسات العنصرية في مجال التعليم العالي، وذكروا منها تدمير جزء كبير من جامعة غزة ومداهمة جامعة القدس، والجامعة العربية الأميركية، وجامعة بيرزيت، والتمييز ضد الطلبة الفلسطينيين بالحد من فرص ارتقائهم في الجامعات الإسرائيلية، وتدمير المكتبات والمراكز البحثية الفلسطينية، وتقييد حرية الأكاديميين الفلسطينيين في التنقل، وعزلهم والتضييق عليهم، وتقييد حريتهم في التعبير والتجمع السلمي، والضغط عليهم مادياً والتأخر في دفع رواتبهم، ومنع الأجانب من زيارة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية، ومصادرة المحفوظات والمخطوطات الفلسطينية، وتقييد الوصول الحر للمصادر العلمية بما في ذلك المطبوعات والإنترنت وغيرها من الانتهاكات التي لا تتوقف.

كما رصد التقرير التواطؤ الكبير للمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية مع المؤسسات الأمنية والعسكرية بما فيها الاستخبارات. ولعل أبرز مثال على ذلك قيام «معهد دراسات الأمن القومي» التابع لجامعة تل أبيب بتطوير عقيدة «الضاحية» التي اعتمدها الجيش الإسرائيلي في حروبه الأخيرة على غزة، وهي عقيدة عسكرية تدعو إلى تدمير واسع للبنية التحتية المدنية، وخلق معاناة شديدة بين السكان المحليين كوسيلة فعالة لإخضاع أي مقاومة.

بدأ تحرك الأنثروبولوجيين بنقاش مستفيض حول المسؤولية الأخلاقية الواقعة عليهم بوصفهم «علماء الأجناس البشرية»، في المعارضة والاحتجاج واعتبار حكومة إسرائيل وحكومتهم الأميركية مسؤولتين عن تلك الانتهاكات، لأن الأنثروبولوجيا مهنة تلتزم بحماية وتعزيز ثقافة الشعوب وحقوقها في كل مكان وفي أي مجتمع، وفقاً لإعلان «الأنثروبولوجيا وحقوق الإنسان» الذي أصدرته الجمعية سنة 1999. وطرحت فكرة المقاطعة الأكاديمية كوسيلة فعالة وناجعة في مواجهة تلك الانتهاكات المستمرة والمتسعة، كما اعتبرت وسيلة ضغط على الحكومة الأميركية لدعمها السياسي والعسكري غير المشروط لإسرائيل، وأن المقاطعة طريقة احتجاج ضد الممارسات الكولونيالية الإسرائيلية. وهي ممارسات لطالما اتهمت الأنثروبولوجيا نفسها بها باعتبارها نظرّت لوجودها وشرعنته في ظل العهد الاستعماري. وهي فرصة للتخلص من هذه التهمة ومن أي إرث يخصها، كما هي فرصة لإظهار تضامن الأنثروبولوجيين الأميركان مع زملائهم في فلسطين وتقديم الدعم لهم، بالإضافة إلى أنّها وسيلة لحث الأكاديميين الجامعيين والعلماء عبر العالم على فضح الانتهاكات الإسرائيلية وكشفها أمام الرأي العام.

وبعد مناقشات طويلة تبنى أعضاء المؤتمر السنوي للجمعية الذي انعقد في مدينة دنفر في شهر كانون الأول / ديسمبر 2015، بأغلبية مطلقة مشروع المقاطعة الأكاديمية، في سابقة تاريخية، وتم تحويله لأعضاء الجمعية العامة للمصادقة عليه أو رفضه، وسط تفاؤل كبير بأن المشروع سيحظى بتأييد الغالبية العظمى من الأنثروبولوجيين الأميركيين.

وبمجرد الموافقة على طرح مشروع القرار للاستفتاء، دقت نواقيس الحرب في تل أبيب التي اعتبرت المقاطعة الأكاديمية تهديداً استراتيجياً لأمنها، وهو ما عبر عنه الرئيس الإسرائيلي في لقائه مع لجنة رؤساء الجامعات التي اجتمعت لتدارس السبل الكفيلة بمواجهة «الظاهرة الخطيرة» التي اتخذت شكل كرة الثلج وبدأت تكبر وتتسع بشكل مقلق في أميركا وأوروبا وتطال حتى أعرق الجامعات وأرقاها.

وقد جاء الرد الإسرائيلي قويا ونذلا في الوقت نفسه من خلال حملة مليئة بالمغالطات والتدليس قادها اللوبي الصهيوني في أميركا وطالت كل النزهاء المؤيدين للحقوق الفلسطينية: كذب وتشويه وضغوط وإغراءات. كما تمكنت من إدارة المعركة بنجاح معتمدة في ذلك على «الجمعية الإسرائيلية لعلوم الإنسان والحضارة» التي تضم أغلب المشتغلين بالأنثروبولوجيا في إسرائيل، وهي جمعية تتعاون بشكل وثيق مع السلطات الأمنية والعسكرية، وتقدم لها الخبرة والمشورة، بل إن العديد من منتسبيها يخدمون في الجيش الإسرائيلي لخبرتهم الثقافية أو مهاراتهم المنهجية. وقد قامت الجمعية بدور كبير في قلب الموازين حيث ادّعت أنّ المقاطعة ستجعل أي نقاش أو تبادل للآراء أو الحوار مستحيلاً، كما طالبت بالتفريق بين علماء الأنثروبولوجيا كأفراد والمؤسسات التي يعملون لديها، وأنّ مقاطعة المؤسسات سيشوه سمعة العلماء العاملين فيها ويسبب لهم ضرراً ملموساً.

تم تسويق هذه المغالطات والترويج لها على الرغم من علم الجميع بتورط هؤلاء الأنثروبولوجيين من خلال المؤسسات التي يعملون بها أو الجمعيات التي ينتسبون إليها من خلال التواطؤ مع الجيش الإسرائيلي.

ولعل الغياب الكلي لأي تحرك عربي أكاديمي أو مؤسساتي في هذه المعركة مرده لعدم وجود هيئة عربية تمثل الأنثروبولوجيين العرب وتتكلم باسمهم، إذ لا يزالون في عالمنا العربي فئة قليلة يعانون التهميش وغالبا ما ينظر إليهم بعين الشك والريبة... بينما ينتظر أن يتم تفعيل هذا العلم الخطير وتأطير المشتغلين فيه... وحينها فقد يمكن استئناف هذه المعركة من جديد.

مبروك بوطقوقة

باحث أنثروبولوجي من الجزائر/ رئيس تحرير المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة

قضية

2.3 مليار جنيه مقرر تخصيصها من الموازنة العامة المصرية لوزارة الدولة لشؤون البحث العلمي في مصر، أي بنسبة 0.023 في المئة من الناتج المحلّي الإجمالي، فيما ينص الدستور على تخصيص الدولة نسبة 1 في المئة من الإنفاق الحكومي للبحث العلمي.

المزارات والأضرحة والأولياء

جنود مخفيون في الحرب السورية!

تغص المنطقة العربية بآلاف المزارات والأضرحة والمقامات ممتدة في كل بقعة من بقاعها، حاضرة في راهنها كما ماضيها، وفاعلةً في سردياتها الراهنة بأكثر مما يُتوقع، بل يعلو دورها كلما تعمق انتشار الخراب في النفوس والأمكنة.

يصعب تاريخياً تحديد لحظة بدء ظهور هذه الأضرحة والمزارات، والمشرق كما المغرب مسرح مزدحم بالآلهة ووكلائها وتجلياتها. في المشرق بدأت سلسلة انشقاقات عن جسد الإسلام الرسمي بمفاعيل اقتصادية وسياسية، وبشكل أساسي حضارية، منبعها تراث ضخم (معرفي وعرفاني) لم يهضم فقر رؤية الإسلام الرسمي للعالم، فأدى إلى تشكيل رؤية مغايرة له. ونجد اليوم في ظل خراب مهول وممتد، كثيراً من «الرجعات» و«الكرّات» إلى عالم غيبي ينتظر أن يفتح كوة خلاص محتملة ومرغوبة في السماوات التي لم تتخل بعدُ عن دورها في الانحياز إلى طرف دون الآخر، وللأولياء هنا الدور الأكبر في نقل رسائل التوسل البشرية إلى السماء وتلك التضامنية منها إليهم.

حضور كل منهم مختلف في درجات التأثير على الذاكرة الجمعية لشعوب المنطقة وجماعاتها الدينية. ففي بعضها يتفوق هذا الحضور إلى درجة التماهي مع التجربة المفارقة عن السياق الرسمي للأديان التوحيدية، وينخفض لدى بعضها الآخر تبعاً لمفاعيل دينية وتاريخية. وفي حالات خاصة يتفق الجميع على رمز مصدره الكتب المقدسة، الخضر («مار جرجس») أبرزها.

لا يقتصر دور الأولياء على طائفة من دون الأخرى، مع اختلاف نسبية الدور بينها، ففي حين يقترب التصور المسيحي بأنواعه والإسلامي الأقلياتي (العلوي والإسماعيلي واليزيدي والدرزي) من بعضه البعض في دور وساطة الأولياء بين الأرضي والسماوي، ينخفض التصور السني إلى حدود الاحترام والتقدير مع رفض أي معجزات منسوبة لها، ففي ذلك تعد على قدرة الخالق وفق المعروف عن مدارس التفسير الأربعة (والشافعية ربما هي أقلها حدةً).

يرتفع ويزيد حضور الأولياء والمزارات في الساحل السوري عن غيره من المناطق لعوامل عديدة مرتبطة ببنية التدين. فالعلوية ـ الأكثر انتشاراً هنا ـ هي أساساً قراءة صوفية معرفية يحتل المتصوفون دوراً رئيسياً في مرجعياتها الفكرية وصياغة رؤيتها للعالم والحياة والآخرة، مرتكزين على منجز فلسفي متنوع المشارب، وهو أمر كفل للأولياء (المتصوفين حكماً) حضورهم الكبير في هذه المنظومة (يفوق العدد في الساحل وحمص والغاب 800 مقام، ويندر وجود قرية أو مزرعة من دون ولي).

بعض الأولياء معروفين كشخصيات لعبت دوراً في تاريخ المنطقة، ويمكن تتبع آثارهم في مخرجات التصوف وكتبه ومأثوراته المنتشرة شفاهياً عن كرامات (وليس معجزات) قاموا بها، خاصة زمن الاحتلال العثماني. ولهم إلى اليوم حضورٌ فاعل وقوي يتجلى في استقطاب مئات الزوّار إلى مقاماتهم، بزيادة ملحوظة منذ بدء الحرب السورية لأسباب لا تَخفى على أحد.

يُدفن الولي صاحب المقام في حوش أو مقبرة منفصلة عن مقابر العموم، تحيط به أشجار السنديان والبلوط، وعادة ما يحتل قمة من القمم الجبلية لكونه أقام في هذا المكان منعزلًا ومنقطعاً عن البشر. وبناؤه في القمة استمرار لتقليد قديم في بناء المعابد الخصوبية في المشرق على تلك القمم. تقول رواية شعبية إن أول من بنى مقاماً على قمة جبل كان «سام» بتكليف من أبيه النبي «نوح» بعد الطوفان، لتذكير الناس بما حدث، وهي الفكرة التي بنى عليها الأديب اللبناني ميخائيل نعيمة كتابه «مرداد».

يشيّد على الضريح بناء يتوج عادة بقبة نصف دائرية لها دلالتها في التفسير الصوفي للعالم (فالعالم كرة وهو نقطة أيضاً). والقبة كما هو معروف أحد أهم الرموز المعمارية المشرقية. ومن ثَمّ يزين الضريح بالأثواب الخضراء (لون راية النبي محمد)، وتسمى هذه الأثواب «خلْعات» (مفردها خلعة) وتعني أغطية. إضافة إلى وجود عشرات النسخ من القرآن بشكل رئيسي، والإنجيل والتوراة في بعض المقامات (مقام الشيخ «يوسف» في «ربعو» من طرطوس).

وإلى اليوم، ما زالت قدرات أصحاب المقامات حاضرة في مخيال شرائح مهمة من البشر (حول العالم)، مؤمنة بكراماتهم وبركاتهم، يلجأ إليها الناس لقضاء حوائجهم المستعصية مثل عدم الإنجاب والشفاء من أمراض قاسية. ولا يتم ذلك بشكل اعتباطي، فلكل مقام اختصاصه الذي تحفظه الذاكرة الشعبية، متناقلة معجزاته المسنودة إلى شهود موثوقين. في سياق الأزمة الراهنة في سوريا، زاد دور المقامات المختصة بإرجاع الغائبين (ومنها مقام الشيخ «يوسف» ذاك ويزوره مختلف أبناء الطوائف بحثاً عن عون بشأن أبنائهم المفقودين والمخطوفين، وتناقلت المحافظة قصصاً عن الأمر سلباً وإيجاباً). وبالطبع لا يتم ذلك من دون تقديم الهبات إلى خدّام الولي وذبح القرابين وتقديمها للفقراء أو للمعتاشين حول المقام.

في سياق سابق، جرت محاولات عدة للتعدي على هذه المقامات من قبل تيارات رافضة للتدين الشعبي هذا، رابطةً إياه بالغيبيات والتخلف، آخرها جرى مؤخراً في مدينة حمص من قبل مجموعة مجهولة اسمها «المصباحية»، سبقها أواسط التسعينيات محاولات أعضاء في جمعية «المرتضى» حرقت فيها بعض مقامات الساحل السوري. وفي الحالتين كان هناك رفض شعبي لهذا الفعل مطلقاً.

يلاحظ في مقامات المشرق العربي بمختلف طوائفها خلوها التقريبي من قصص فك السحر والشعوذة وقراءة الطوالع وغيرها من الممارسات التي اختص بها مجتمع المدينة، واقتصار العلاقة التي تربطها مع زوارها على التدين الشعبي قديم العهد، الطقوسي السلمي. وفي تفسيره الأنطولوجي، فهو يستعيد الذكرى الإبراهيمية بطريقة متصالحة مع السماء والطبيعة، فيمنع مثلًا قطع وتحطيب أية شجرة في محيط المقام، وهو أمر ساهم فعلًا في الحفاظ على ملامح الطبيعة، عدا عن تشكيله أرضية سياحية شعبية لم يحسن استخدامها جيداً حتى اليوم.

لم يكن لهذه المقامات أي دور سياسي عبر تاريخها، وعانى بعضها من الإهمال رغم وفرة مدخول الزيارات إليها من هبات وذبائح، في غياب سياسة وقفية ممنهجة (في الساحل السوري تحديداً). ولكنها استعادت جزءاً مهماً من دورها الحمائي ـ الإيماني في سياق الحرب الراهنة، فهناك إيمان شعبي يقول بأن هذه المقامات هي «أعمدة الله على الأرض»، لذلك يزورها بعض الجنود قبل التوجه إلى المعارك.

وكثيراً ما تناقلت الأوساط الشعبية حكايات عن رسائل ظهرت لأشخاص لدى زيارتهم لهذا المقام أو ذاك، أو إخباريات عن أحداث سوف تقع في الحرب السورية، من بينها أن هذه الحرب سوف تستمر سنوات سبع وتنتهي بعد «أن تغطي الأرض الدماء لسبعة أيام فلا تعود أمٌ تدري من أمامها أهو ابنها أم عدوها». وتتقاطع هذه الرؤى مع طروحات «نهاية العالم» الإسلامية التي تقول باقتراب الساعة بعد معركة «الملحمة الكبرى» بالقرب من دمشق. وهذه سيتواجه فيها فريقا الكفر والإيمان للمرة الأخيرة قبل يوم القيامة...

من الملاحظ أخيراً أنّه لا يوجد أي مقام أو ضريح لامرأة، ليس في الساحل السوري فقط بل في عموم المشرق العربي. ولعل تفسير ذلك يعود إلى غياب أو تغييب دور المرأة في قطاع كانت فيه الذكورة هي الآمر الناهي.

أياد القاضي ـ العراق

كمال شاهين
كاتب من سوريا

المدارس العتيقة في المغرب

يمشي التعليم في المغرب على ثلاثة أقدام، عمومي، وخصوصي، وعتيق. وقد ساهم هذا الأخير في تكوين حركة علمية لعبت دورا محورياً عم جل مناحي ومشارب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية إبان القرون الخوالي.

اشتهرت بلاد سوس بمدارسها العلمية العتيقة. وتمتد منطقة سوس بين أغادير وطاطا جنوب شرق المغرب، وقد عرفت مئات المدارس العتيقة، كتب عنها العلامة المختار السوسي. كانت منطقة طاطا محوراً تجارياً ربط المغرب بالتجارة الصحراوية مع بلاد السودان، وساهمت في نقل التأثيرات الحضارية والثقافية ما بين المغرب وأفريقيا، وتحديدا الثقافة الإسلامية. واستمرت التجارة الصحراوية في طاطا حتى بعد سيطرة الأوروبيين على سواحل بلاد «السودان الغربي» والصحراء، وفرضهم الحصار على تجارة الذهب والعبيد خلال القرن التاسع عشر.

مدرسة شعبية

المدرسة العتيقة عبارة عن مدرسة شعبية تُؤسسها قبيلة أو مجموعة من القبائل تجمعها أواصر القرابة، الدم والنسب والحسب، وتشترك في امتلاك الواحات والعيون. وهناك فرق بين المدرسة العتيقة والكتّاب القرآني المعروف بـ «الجامع» أو «المسيد» المنتشر في جل ربوع المغرب.

تُبنى المدرسة العتيقة من طرف أحد العلماء المعلمين المشهود لهم بالصلاح بدعم من القبيلة طبعاً، أو من طرف شخصية ذات حمولة سياسية، أو فكرية، أو دينية، أو مالية، أو هي تبنى لاعتبارات اجتماعية، لتحقيق حلم رواد أحد الصالحين بنشر العلوم الشرعية واللغوية والمعارف الأدبية والعقلية والكونية، من خلال تشييد مَعْلمة علمية.

يحج إليها طلاب العلم من كل فج عميق ومن مختلف البلدان والأمصار للنهل من معينها الذي لا ينضب والتزود بأخلاق علمائها، ويحمل كل متخرجٍ منها لقب «الطالب».

وتعرّف رشيدة برادة المدرسة العتيقة بأنها» بناية كانت تحبس لمزاولة التعليم وإيواء الطلبة الذين كانوا يفدون عليها قصد التعلم من مختلف أنحاء البلاد»، ومصطلح التحبيس يعني أن «هذه البناية كانت لا تمول من بيت المال، وإنما يحبس عليها من أملاك الرعية أو الحكام»، بحسب ما أورده جمال الحمداوي في دراسة له عن المدارس العتيقة بالمغرب.

المدرسة العتيقة قديما والآن

ظهرت ببلاد طاطا مدارس عتيقة خلال القرون الماضية، من بينها المدرسة التمنارتية، والمدرسة الأقاوية والمدرسة اليعقوبية. لم يبقَ من معظم المدارس إلا مسجدها أو بعض المعالم التي تندرج ضمن التراث المادي واللامادي، كأجنحة تلقي العلم وتحفيظ المتون وبعض المخطوطات والوثائق.

تعرضت المدارس العتيقة للاندثار، وصارعت القلاع العلمية الأخرى عوادي الزمن وصمدت في وجه الظروف الصعبة، ولا زالت تؤدي رسالتها العلمية متحدية المحن.

بلغ عدد مدارس التعليم العتيق بالمغرب 388 مَدرسة سنة 2013 ثلثاها بالوسط القروي، وحوالي نصفها بجهة سوس (في ماسة درعة)، بحسب تقرير صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الذي أضاف أن «عدد أماكن تحفيظ القرآن بلغ ما مجموعه 14.707 أمكنة للتحفيظ، موزعة على 261 مكانا داخل مدارس التعليم العتيق و14.446 خارجها، مع وجود أكثر من 90 في المئة من أماكن تحفيظ القرآن داخل المساجد أو مُلحقة بها»، وأن عدد المتمدرسين بأماكن تحفيظ القرآن بلغ 410.471 ألف متمدرس، تمثل نسبة الإناث منهم 33.56 في المئة، كما أن أكثر من 88 في المئة من مجموع المُتمدرسين لا يتجاوز سنهم 18 سنة، حوالي 35 في المئة من مجموعهم يتواجدون بالوسط الحضري، على الرغم من أن عدد أماكن تحفيظ القرآن في هذا الوسط لا يمثل سوى أكثر قليلًا من 17 بالمئة من أماكن التحفيظ.

الموارد والمنهج وشروط الدخول

تتجلى موارد المدرسة العتيقة في الأعشار والهبات والعطايا التي تقدمها القبائل والأهالي لها، بغية إطعام الطلبة ودفع أجرة الفقيه والمحافظة على استمرار دورها في نشر العلم وتقعيد الفقه وأصوله.

ويذكر أنه «بعدما تنتهي القبيلة من بناء المدرسة، فإنها تعمل على تمويلها إما بتخصيص بعض الأحباس كالحقول، أو بعض الحصص المائية، وهي:

- غلال الأملاك من حقول مسقية في الفدادين المحبسة على المسجد أو المدرسة أو الزاوية، هذه الفدادين غالبا ما تكون مجاورة للمدرسة حيث تستفيد منها طول السنة بما تغله من تمور وحبوب.
- أعشار يدفعها أفراد القبيلة يرجع مقدارها إلى أحوال الزراعة من خصب، وهي غير منضبطة في مقدار معين.
- هبات الزوار وهداياهم للمدرسة.

يمول المحسنون المدرسة، ويقدم الأهالي ثلث العشر لمؤونة الطلبة، ويعطي الفلاحون والرعاة الأعشار والزكاة، وتعمل الجمعيات المشرفة على تسيير المدرسة على جلب أموال لدعم الميزانية، هذا فضلا عن منح وزارة الأوقاف.

وتعد العلوم النقلية من أبرز العلوم التي تدرس بالمدرسة العتيقة، من فقه وأصول الحديث وتوقيت وتفسير ومبادئ الشريعة الإسلامية وقواعد اللغة العربية، وَتَعْرِف المناهج التربوية بالمدارس العتيقة إشكاليات عدة على المستوى المنهجي والمعرفي. ومن بين الأخطاء التي تعتري تلك المناهج التربوية ذكر الباحث عمر أفا «الطالب يتربى بمنهج تربوي مرت عليه قرون دون أن يتطور. فكان من الطبيعي أن يظهر هذا الانحطاط. ومن تجليات ذلك:

- تم اقتصار بعض الفقهاء على تدريس آراء الفروع الفقهية دون بذل مجهود بالرجوع إلى المصادر الأصلية.
- جعل الطالب يتعصب لرأي شيخه.
- عدم تكوين الطلبة على منهج نقدي.
- عدم إعطاء فرصة للمناقشة حتى يتمكن الشيخ من المحافظة على مكانته وهيبته.
- اعتماد كل فقيه على نفسه دون حاجته إلى الغير من ناحية الإرشاد، وعدم المشاورة في ما بينهم من حيث كيفية التدريس ومضمونه.

وتفتح المدرسة العتيقة أبوابها في وجه كل راغب في حفظ الفرقان والأحاديث ودراسة العلم والتمكن من المتون. ويشترط على كل طالب الالتزام بالأخلاق الحميدة والانضباط وحسن السلوك واحترام الشيوخ والطلبة. يسهر الشيخ المعلم على تطبيق برنامج «علمي»، بغية تكوين الطلبة تكوينا متينا وجعلهم ضالعين في العلوم وأصول الدين. ويوقر الطلبة شيخهم ويعاملونه باحترام منقطع النظير، ويمارس الشيخ المعلم سلطة على مريديه وتلامذته.

يؤطر العرف المدرسة أملًا في ضمان استمراريتها، وتنص بنود الأعراف المتواترة في أغلب المدارس العتيقة بالمغرب على:

- ضرورة أداء الصلوات الخمس جماعة في مسجد المدرسة، وتلاوة الحزب ـ الراتب ـ جماعة، صبحا ومساء، وحضور الدروس بانتظام واحترام الوقت المحدد لها وعدم التخلف عنها إلا بعذر شرعي، هذا مع مراعاة التحلي بالأخلاق الحسنة والحميدة وعدم اقتراف أي فعل مشين يسيء إلى سمعة المدرسة.
- جعل علاقة الطلبة مبنية على الاحترام المتبادل وشيوع الأخوة والمحبة والنصح في ما بينهم، وتقديم مبلغ مالي رمزي للشيخ المعلم أسبوعيا يعرف محليا بـ «الأربعاء»، وتقديم مبلغ مالي مرتين في السنة أو أكثر، يدعى «العواشر».

بعد أن يفلح الطالب في حفظ كتاب الفرقان لثلاث مرات متتابعة يُحتفى به ويوجه لدراسة العلم إلى أن يتمكن منه، ثم يأذن له الشيخ بالرحيل للتدريس في أي مكان بعد أن يمنحه شهادة تجيز له نقل العلم والتدريس، تعرف لدى العامة بـ «الإجازة».

تَخرّج من المدرسة العتيقة كوادر يتولون التدريس والإمامة والخطابة والتوثيق والعدالة والقضاء والحسبة، وحافظوا على المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف على طريقة الإمام الجنيد في المغرب.

وقد وظفت الدولة المغربية المدارس العتيقة والطرق الصوفية والزوايا لضرب اليسار الجذري والمعتدل على السواء، والإسلام السياسي الذي ينازعها الشرعية القائمة على أساس الدين. وكانت هذه المدارس مفيدة أيضاً لكبح مطالب دعاة الحريات وحقوق الإنسان والمرأة، وعدم الجمع بين الثروة والسلطة، وتغيير الدستور، ومحاكمة ناهبي المال العام، واعتبار المغاربة مواطنين لا رعايا!

صالح بن الهوري
صحافي من المغرب

بيتونة

بيان اللقْلق

في كل ليلة خميس يحط اللقْلق الكبير على بيت الرسامة. نحن كضوضاء العذاب لكل أهل المحلة، كنا مصدر قلق اللقلق والرسامة، لا نتركه يهنأ في استراحته ولا ينام متوكئاً على ساقه في عشه الكبير، الكبير الكبير.

يقولون بأن عشه واسع لهذه الدرجة لأنه يجلب الأطفال الرضّع من السماء ويرقد في عش بيت الرسامة كمحطة استراحة قبل توزيعهم على العوائل، ويستعمل نصف عشه كـ «كاروك» (سرير الأطفال الهزاز)، يناغيهم وينقر كروشهم الصغيرة ليفحص قدرتهم على البكاء، لأن البكاء في تعاليم جداتنا معصوبات الرأس بالبياض أفضل دليل على الصحة.

في آخر ليلة خميس أتذكرها أمام بيت الرسامة، طلبت منّا مساعدتها في تحقيق نذرها، وأن نجمع أكبر قدر نعرفه من الصبيان والصبيات ونصطفّ جميعاً أمام بابها.

كان طلباً غريباً حافظنا على سرّيته وأنجزناه بسرعة، وقفنا بطابور منتظم حسب أوامر الرسامة، أخبرتنا أنها نذرت أن ترسم وجوه أطفال المحلّة وسيرزقها الله بمولود بعد طول تصبّر وانتظار.

لو رسمتُ وجوهكم سيعطيني الله ولداً حلواً، تقول ذلك وهي تجلس أمام لوحتها وتتعجب من هدوئنا، لأننا في العادة نغنّي في مثل هذه الساعة ونحن ننكش ريش اللقلق ونقذفه بالحصى: «اللقلق علاّ وطار.. علاّ وطار. اللقلق علاّ وطار.. علاّ وطار».

وبظرف ساعتين تقريباً، كانت وجوهنا تملأ منزلها، جمعناها وخرجنا نكظم في حناجرنا أغنية اللقلق.

لا أدري ماذا حلّ بالرسامة، يقال إنّها هاجرت أو توفيت أو تطلقت. ولا أعرف ماذا فعل نذرها بها وماذا فعلت به. الذي أعرفه أن رسمة وجهي المخطط بريشتها السريعة ما زالت عندي، عودتني أمي أن أحافظ عليها، وباقي الصبية كانت تعاقبهم أمهاتهم لو خربوا رسمات وجوههم أو ضيعوها. صارت رسمة الرسامة مثل شهادة الميلاد وبيان الولادة والمستمسكات الثبوتية في خزانة الأب.

أما اللقلق فقد كان كذبة. عرفتُ ذلك مؤخراً. لقد كان عشه عالياً بما يكفي للتوهم، وكانت الرسامة تلفّق عنه الحكايات وتبني له عشاً كل مرة.

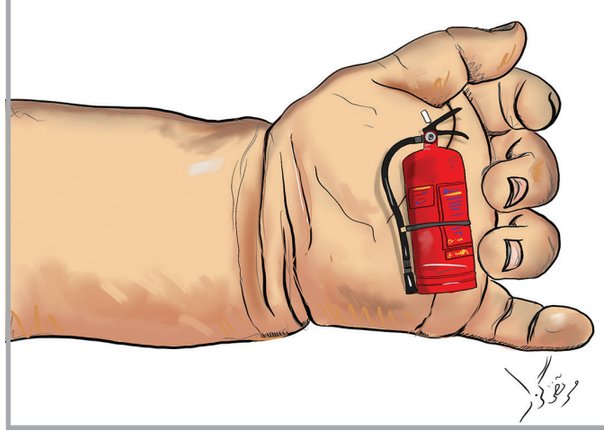

نص ورسم مرتضى كزار

** وقع ليل 9 آب / أغسطس الجاري حريق في قسم التوليد بمستشفى في بغداد أدى إلى وفاة 13 مولوداً... ويعتقد ان الحريق مفتعل، فيما لم تكن شروط السلامة متوفرة*

العربي السفير

نوافذ

55 مليون شيكل، أي أكثر من 14 مليون دولار، صادق وزير العمل الإسرائيلي على إضافتها للميزانية السنوية المخصصة لدعم المستوطنات المحيطة بغزة، فيما سيبدأ في شهر تشرين الأول/أكتوبر المقبل إنشاء سور إسمنتي بطول 60 كيلومترا حول غزة «لمكافحة الأنفاق» بتكلفة 20 مليار شيكل (أي حوالي 5 مليار دولار)

الزهور لا تتفتح في الربيع

قصة السجين مع الصراصير

«ترحيل لسجن الحضرة». أظن أنه كان يوم 18 كانون الأوّل/ ديسمبر 2013... نادى مخبر على اسمي من «النضّارة» (فتحة مستطيلة صغيرة في الباب الحديدي)، بمديرية أمن الإسكندرية. في سجن الحضرة، مكثت أياماً في زنزانة الإيراد، ثم وُزّعتُ على زنزانة سُكني. كانت باردة كثلاجة. فكرت أن الميزة الكبرى لتلك الثلاجة هي خلوّها من أية حشرات. لم يكن لي تاريخ مع الصراصير في الأسبوعين اللذين قضيتهما بمديرية الأمن، حيث الحياة أقرب للملكي من الميري.

في سجن الحضرة اختلف كل شيء. حتى المقشّة الصغيرة أو «اللمامة» البلاستيك ممنوعة. لا منطق أبداً في الحياة الميري. كل شيء ممنوع باستثناء الملابس الميري والطعام (ليس كله) وبعض الأدوية (ليس دائماً). حتى مطهر «الديتول» السائل كان ممنوعاً وقتها. كلما طلب أحدنا إدخال شيء من ذلك، جاءه الردّ غاضباً: «إنت فاكر نفسك في فندق ولا إيه؟!» كأن مستلزمات النظافة من شروط سُكنى الفنادق!

ثمّة نظام محكم في السجون، يتلقاه السجين من زملائه الأقدم مثلما يتعلم الصنايعي أصول المهنة من معلّمه. السجين الأحدث لا يختار مكانه في الزنزانة، بل يذهب إلى المكان المتاح.. الذي يكون الأسوأ. ومع ترحيل زملاء أقدم أو انتهاء عقوبتهم، تُتاح أماكنهم الجيدة للأقدم بعدهم، وبالتالي أماكن هؤلاء للسجناء الأحدث، الذين صارت لهم الآن بعض الأقدمية، فيتركون مواقعهم السيئة للوافدين الجدد. هكذا يتحقق نوع من «العدالة الاجتماعية».

كان الموقع المتاح لي أول موقع في أحد أضلاع الزنزانة. عن يميني باب الزنزانة الحديدي، كلما انفتح في الصباح الباكر هاجمني تيار هواء بارد محمل بالروائح الكريهة. هناك أيضاً الرائحة الدائمة لبرميل «الزبالة» المجاور للباب من الناحية الأخرى. كان عرض الباب متراً واحداً يفصلني عن البرميل الذي لا يمكن غسله. كان وطناً للعفن والحشرات. أول ما صدمني في الأمر أن الصراصير هنا لا تعرف البيات الشتوي، ربما لأن الصراصير كالسجناء: تضطر للتكيف مع الظروف القاتلة للحياة حتى لا تفنى. كان جيراني من سكان برميل الزبالة وركن الزنزانة الذي يحتضنه متنوعين عرقياً. صراصير صغيرة جداً وكبيرة ومتوسطة. الصغيرة والمتوسطة فاتحة اللون دائماً، والكبيرة بنية غامقة كما نعرفها خارج السجن.

بدأ تاريخي مع الصراصير تدريجياً. هذا أيسر. في صباح من صباحات كانون الأول/ ديسمبر، صحوت منتعشاً بحلم لطيف بطلته إمرأة أحببتها من قبل، وانتهى حبنا نهاية بائسة. فتحت عيني فرأيت صرصاراً صغيراً فاتحاً يمشي مبتعداً عن وسادتي التي كانت حقيبة يد صغيرة. كان اتجاه الصرصار يدلّ على أنه مر غالباً على رأسي في مساره. فزعت فضربتُه بطرف البطانية ثم أمسكته بمنديل ورقي وأطبقتُ عليه جيداً، ثم احترتُ: كيف أنظف طرف البطانية؟

هذه الصراصير الصغيرة كانت هائلة العدد، لكنها تثير الشفقة لهشاشتها. مرة رأى زميل صرصاراً من هؤلاء فامتنع عن قتله رأفة بحاله! في مساء آخر، جلس صديقي إسلام حسنين بجواري وبدأ يحكي لي عن الكتاكيت التي كان يربيها في منزلهم الريفي، وظلت صراصير صغيرة تسقط علينا من أعلى حيث أغراضنا المعلقة فوق رؤوسنا: أكياس ملابسنا وطعامنا.. نعم طعامنا، لكننا لا ندري كيف تعلمنا الكثير من التسامح في السجن.

ظللت أهيّئ نفسي لأول مواجهة مباشرة مع صرصار، حيث أصحو على وقع دغدغة سريعة على وجهي مثلًا. هيأتُ نفسي كي لا يصيبني مس من الهيستيريا لأن خوفي من الصراصير تحديداً بلا حدود. لكن الحياة كانت طيبة معي، أو لنقل: لكن الصراصير كانت طيبة معي، فترفّقت بي. في صباح تالٍ أخبرني زميل أنه صحا باكراً فوجد صرصاراً على فرشته، فحاول اصطياده بمنديل، لكنه أفلت وجرى مختبئاً خلف مخدتي (حقيبتي). تسمّرتُ.. هل مشى على رأسي؟ لم أجرؤ على سؤال زميلي، ثم بدأت أطوي بطانيتي وأرفع المخدة بحذر، فلم أجد أثراً. المتسلل هرب بسلام. قلت لزميلي بأنني قد لا أجده لأنه صغير. «كان قد كده».

أوضح مشيراً بإصبعه كاملًا! ماشي يا حاج.

لا أذكر لقاءات أخرى مع صراصير سجن الحضرة.

لكن في سجن برج العرب، سمعت زميلًا قديماً يحكي لزميل جديد مثلي أن صراصير السجن هنا «عفية» لأننا في سجن صحراوي. بدا رأياً حكيماً حقًا، لكنني الآن أقوى مراساً مع الصراصير. مع قدوم الربيع، سمعت زميلًا آخر يحكي عن صرصار كبير رآه يتجول طائراً في الزنزانة قبل الفجر، ولم يرَ في الظلام أين هبط.

في إحدى ليالي ربيع 2014، قررت النوم فجراً وغطيت رأسي بالبطانية جيداً (كان الجو بارداً) لكنني شعرت بصديقي وجاري لؤي القهوجي يتحرك حركة مفاجئة غريبة، فرفعت البطانية متوجساً فرأيته يجلس ويفتش مخدته (التي كانت جزءاً من البطانية مطبقاً طبقات عدة). سألته فطمأنني أنه يرتب الفرشة فقط.

بعد قليل رفعت البطانية عن وجهي لأن زميلًا تحرك في الزنزانة لصلاة الفجر، فلمحتُ صرصاراً هائلًا يتمشى على بطانية لؤي التي كان يغطي بها وجهه. تبخّرت استعداداتي النفسية، أمسكت بطانيتي وهجمت بها على الصرصار الذي كان إزاء صدر لؤي (فوق بطانيته) فنهض صامتاً. طبعاً لم أقتل الصرصار بهذه الهجمة المذعورة، بل سمحت له بالاختباء بين البطاطين ثم قمت ونظرت إلى جسدي فلم أجده، ثم رفعت البطاطين بحذر حتى وجدته على فرشتي فدهسته بقدمي دهساً مجنوناً، بلا تفكير أيضاً.

هنا كان لؤي يقهقه لأنه فهم كل شيء منذ شعر بالصرصار يمشي على ذراعه تحت البطانية في الظلام، فقام يبحث عنه ولم يخبرني حين سألته، لعلمه برعبي من الصراصير. ظل لؤي يتندر على هجمتي المجنونة عليه، كلما صادق زميلًا جديداً. لا أذكر كيف نظفت قدمي وفرشتي لأنها كانت ليلة صعبة. لم أنمْ حتى الصباح.

إنها بشارة بقدوم «ربيعنا».

عمر حاذق

شاعر مصري أمضى سنتين في الاعتقال وخرج بعفو رئاسي في أيلول/ سبتمبر 2015 شمل 100 معتقل

حلم..

جرجس لطفي / مصر

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
- خطبة الجمعة موحّدة ومكتوبة: صراع الأوقاف والأزهر - أحمد عبد العليم
- السياحة بالجزائر: الأرض موجودة والزرع مفقود - محمد مرواني
- الموسيقى البديلة في تونس بعد الثورة: اتّساع مفهوم الالتزام - محمد محسن عامر
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

الشارع للفن والنساء في القاهرة

هو مشروع تصوير أطلقه المصوران محمد طاهر وأحمد فتحي، عبر صفحة على انستغرام بعنوان «باليرينات القاهرة»، لراقصات باليه في أماكن مختلفة من القاهرة القديمة. أراد المصوران إعادة اكتشاف جمال وتنوع عمارات المدينة وشوارعها، بالتعاون مع راقصات باليه مصريات، لتكريس فكرة أن الشارع مساحة عامة للفن وللنساء كذلك.

شارع المعزّ، القاهرة (تصوير: محمد طاهر)

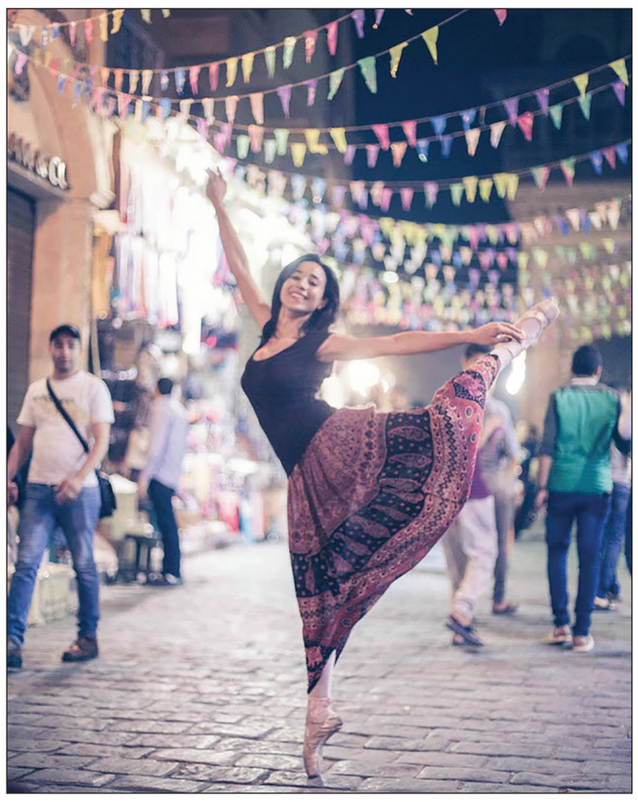

(تصوير: عاشور شريف)

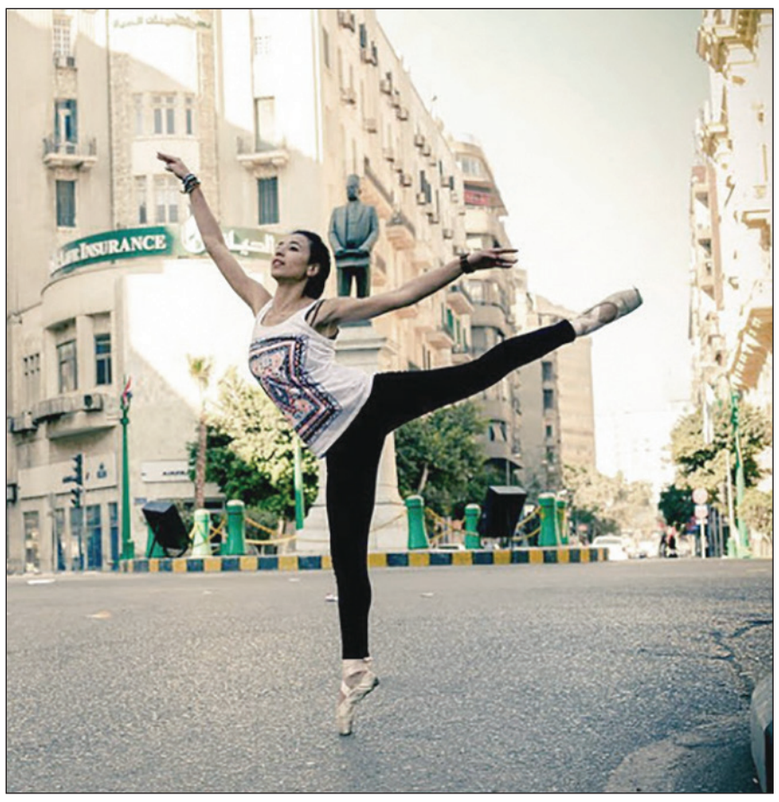

ميدان طلعت حرب، القاهرة (تصوير: محمد طاهر)

مدونات

.. وبراءة الأطفال في عينيه

ما زالت لدى السيد الرئيس الجرأة الكافية لكي يختتم كلمته بتأكيد أن ما وصلنا إليه من بؤس اقتصادي نتيجة سياساته الخرقاء هو الطريق المؤكد لكي يجعل من مصر بلداً «قد الدنيا»!

براءة الأطفال التي تحدث بها السيد الرئيس تجلت أيضاً في حديثه «البريء» عن سلسلة الحروب التي تسببت في أزمتنا الاقتصادية، ثم ثورة يناير التي كان من سلبياتها ما وصلنا إليه من مأزق اقتصادي، لكنه - طبعاً - لم يكن مسؤولًا عن تفاقم الأزمة، ولا هو بدد أموال مصر وأرصدتها من العملة الصعبة في مشاريعه التي يعد بخيراتها الأجيال القادمة!

هو احنا مش يصح نتحاسب الأول على مشاريع السنتين اللي فاتوا قبل ما نكمل طلب مشاريع السنتين اللى جايين، ونشوف إن كانت السياسات العبقرية التي يعتمدها السيد الرئيس تشفع له أصلًا لأن يكون السيد الرئيس؟ وللا هي القعدة في مصر بقت بالشاريع إجباري على مزاج السيّد الرئيس؟

من صفحة Hazem A. Hosny (فايسبوك)

منى يسري تعرضت للتحرش ولم تسكت

صديقتي الشابة الصحافية المصرية منى يسري تتعرض للتحرش الجنسي من قبل رئيس تحرير روز اليوسف الصحافي ابراهيم خليل. منى بكل شجاعة تركت عملها وقدمت بلاغ تحرش عند المدعي العام وتكتب عن الموضوع بكل شفافية وجرأة على صفحتها الفيسبوكية.
الملاحظ وقوف عدد لا بأس به إلى جانبها لدعمها... والمدهش أن بعضا من الذين وقفوا إلى جانبها في البدايات يطلبون منها التوقف عن التحدث عن هذا الموضوع والسبب انه يخدش حياء الأنثى التي هي منى وأنها تفقد أنوثتها لأن الأنوثة من وجهة نظرهم خجل وحياء. في معظم الحالات يتجاوز المجتمع محافظته وقيمه ومطالباته بالعدالة الى إدانة كل فتاة تسول لها نفسها أن تفصح عما تعرضت له من مهانة بواقعة مثل واقعة التحرش. فتصبح هي الملامة عندما تقرر أن تتكلم وتصبح ضد العرف الاجتماعي والأخلاقي العام الذي يحاكمها باعتبارها الجاني لأنها أثارت شهوات الرجال مسلوبي إرادة كبح نزواتهم. وهم يقصدون أن الأنوثة هي الخوف وقلة الحيلة والرضا بالأمر الواقع... فمن كانت جريئة يسحبون منها هذا اللقب.
يتوقعون من النساء أن يسكتن عن هذه المعاملات القاسية لأنهن المسؤولات عن إثارة شهوات الرجال مثلما كانت حواء ملامة بإخراج آدم من الجنة.. لا تسكتي يا صديقتي.. أحييك على شجاعتك وجرأتك وأقف بجانبك ومعك.. دعيهم يسحبون عنكِ لقب الأنوثة.. فأنت وبكلّ فخر سيدة نفسك، كنتِ وأصبحت وستبقين..

من صفحة Lubna Fayez Bajjali (فايسبوك)

قبة الشيخ عبد الهادي السودي في تعز

رمز مكاني لتعز يزيد عمره عن خمسمائة عام، منذ كانت الدولة الظاهرية، وغيرها من القباب والمواقع الأثرية مثل قبة الشبزي وعمر المرقدي ومعالم أخرى، تحولت أثراً بعد عين بفعل عقليات ترى القطيعة بينها وبين الإنسان وما تركه للناس وللتاريخ على هذه الأرض. المعالم التي تمثل لنا كتاباً نتصفح فيه تاريخ هذه المدينة التي عشقناها حتى الثمالة لنتعرف عليها ممشى أجدادنا وسيرتهم بحلوها ومرها، لنشاهد من خلالها صيرورة المدينة تعز وما شهدته من تتاليات زمنية لا تكفينا كتب التاريخ لنحكي عنها كما يقدمها لنا معلم من معالمها. سيرة عبد الهادي السودي والملك المظفر والأشرف والصليحي وغيرهم، والدول التي تعاقبت على هذا التراب والصراعات والإنجازات التي تركها البشر وراءهم، كل ذلك هو موروثنا الإنساني الذي نحضره للعبرة، للفهم، للاستكشاف، لمقاربة الوقائع والمجريات والتحولات التي شهدها من سبقنا في تعمير هذه الأرض، كل هذا التاريخ المكثف ليس ملكاً للصوفية ولا الباطنية ولا غيرهم من فرق الفرقة والشتات التي ملأت حياتنا، هي سيرة إنسانية تروي مفردات حضورنا اليوم وتفسر مآلاتنا ووجودنا. لا قيمة لمدينة خالية من الروح، لا قيمة لوجدان لا يحضره التاريخ ولا يجايل الحاضر ولا يستشرف المستقبل. لا تجعلوا عقليات الهدم تجركم نحو هاويات الخوف، لأن تعز أكثر من مجرد ازدحام بشري على 10 آلاف كم جغرافيا.

من صفحة عمار السوائي (فايسبوك)